مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 08/ العدد: 02 مارس (2022) - ص 45- 65

التراكيب الشرطية في المنام[1] الكبير للوهراني[2]

The conditional structures in great dream of Al-wahrani

عبد القادر مغدير
abdelkader.meghdir@univ-mascara.dz
جامعة مصطفى اسطنبولي – معسكر (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/11/05 تاريخ القبول: 2022/02/22 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص البحث

إن التراكيب الشرطية تراكيب تلازمية، لا يستغني عنها كاتب، ولا يخلو منها نص، لما لها من أثر لغوي وأدبي، ولما يتعلق بها من قضايا نحوية ودلالية، تحددها السياقات النصية، ولذا وجدناها مبثوثة وبكثافة وتنوع في المنام الكبير للوهراني. فما هي الأدوات الشرطية المختارة ؟ وما هي الوظائف النحوية والدلالية التي أدتها ؟

يهدف هذا المقال إلى دراسة التراكيب الشرطية في المنام الكبير لمعرفة أدواتها، وهياكلها، وتداخلها، وعناصرها، ومستويات تعقيدها. ودلالاتها الوظيفية والإبلاغية، والمنهج المتبع هو إحصاء هذه التراكيب، ثم تصنيفها إلى أنماط، ثم وصف عناصرها الإسنادية، وطريقة توزعها، وكيفية تداخل بعضها مع بعض، ومستويات التعقيد فيها للوصول إلى دلالاتها المختلفة.

<u>الكلمات المفتاحية:</u> التركيب، الشرط، الأدوات، الدلالة، الأنماط، الوظيفة.

ABSTRACT:

Conditional compositions are interconnected structures that writer cannot indispensable from, nor is a text devoid if prohibition because of their linguistic and literary effect and of grammatical and semantic issues related to it that are determined by textual contents. Therefore, we found them broadcasted, intensely and varied, in the big dream of Al-Wahrani.so what are the selected police tools? And what are the syntactic and semantic falsification ?

This article aims to study the conditional structures in great dream of al-wahrani, in order to know their selected tools, forms, their level of complexity, its functional and informational implications, and the approach used is to castrate these structures, then classify them into forms in order to describe their elements, the way they distribute, the overlap with each other, and the level of its complexity which led to their different connotations.

<u>key words</u> : conditional, structures, tools, implications, forms, functional.

1. مقدمة:

إن التركيب الشرطي، وما فيه من تلازم بين هيكليه، وما يمكن أن يحمله من عناصر، ودلالات وظيفية وإبلاغية لا تتحقق إلا به جعله مطية للوهراني ليعرض به أحداثه الخيالية، فما هي الأدوات التي استخدمها ؟ وما هي هياكلها ووسائل الربط بينها؟ وما هي أنماطها؟ وما هي مستويات التعقيد فيها؟

للوصول إلى إجابات كافية شافية لهذه التساؤلات فقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقام بحصر التراكيب الشرطية في المنام الكبير، وصنفها وفق أدواتها، واستخرج عملياتها الإسنادية، وحدد أنماطها، وذكر أدوات الربط بين هياكلها، ووضح مستويات التعقيد فيها.

لقد استعان الباحث بالرموز الآتية : م = مسند ، م إ = مسند إليه ، ف = فضلة ، مم = متمم (كل المعمولات عدا (م، م إ ، ف) ، [ ] = تركيب ، // = تلازم ، Ø = خلو التركيب من أحد عناصره .

2. تحديد المفهوم

التركيب الشرطي هو ما اشتمل على جملتين متلازمتين مسبوقتين بأداة شرط، لا يتم معنى أولاهما إلا بالأخرى، وتسمى الأولى جملة الشرط، والأخرى جملة جواب الشرط[3].

3. توزع الأدوات الشرطية بحسب تواترها:

لقد وردت التراكيب الشرطية في المنام الكبير ثلاثا وعشرين مرة، وخضعت لنمطين اثنين، نمط تقدم فيه الجواب على الأداة وجملة الشرط، وورد مرة واحدة فقط في قوله: "فلا ينبري إلى المنبر ولو أحفظ ذلك ثقة الدين ووقفه على مراثيه إلى يوم الدين."[4] ، ونمط تقدمت فيه الأداة على جملة الشرط وجوابها، وتميز بموافقته للترتيب المعهود لعناصر التركيب الشرطي، وبكثرة تردده في المنام؛ إذ تواتر اثنتين وعشرين (22) مرة.

لقد تنوعت أدوات الشرط في المنام الكبير، وتفاوتت في درجة تواترها كالآتي:

1- التراكب المبدوءة بالأداة "لو" = 10 أمثلة .
2- التراكيب المبدوءة بالأداة "إن" =04 أمثلة.
3- التراكيب المبدوءة بالأداة "لولا" = مثالان.
4- التراكيب المبدوءة بالأداة "أما" = 07 أمثلة.

إن التركيب في الشرط يقوم على معادلة بين هيكلين اثنين، أي: وحدتين إسناديتين اشتركتا لأداء معنى واحد، ما كان ليدرك ويفهم لولا التلازم بين طرفي التركيب الشرطي .

إن القيمة التعبيرية في تراكيب الشرط لا تتحقق بهيكل واحد، وإنما تتحقق بهما معا. ولبيان ما للأدوات المستعملة من قيمة في التركيب الشرطي، فإننا سندرس كل أداة والتراكيب التي وردت فيها.

1.3 التراكيب المبدوءة بـ "لو":

بلغ عددها في المنام عشرة (10) أمثلة، وهي:

أ- " لو أن النار كلست الكلاسة، واشتملت على الحيط الشمالي، وعرست في العروس، وأذنت بهلاك المؤذنين، وأهلت لغير الله بدار ابن هلال تكون مثلها، لما اقتصرت على المقصورة، ولا بردتها البرادة حتى تصحن الصحن، وتنسر النسر، وتجرد القبة من رصاصها، وتكبها على عراصها، وترميكم بالخطب الفادح في الخطيب، وتحربكم إياه في المحراب."[5]

ب- " لو كان ما ادعاه من ذلك حقا لما قَدَّم على هذا الفصل شيئا في أول كتاب، نَفَّذه غليانه في قلبه، ثم ينهاه أدبه وفضله بعد ذلك عن تكرار ذلك المعنى بعينه في أول كتاب آخر."[6]

ج- " لو مات - والعياذ بالله- قبل أخذه لثأره لمزق الأكفان، ونبش المقابر، ورجم أهل الآخرة بالحجارة."[7]

د- "لو عددت عليك المخازي التي رأيتها أمس في صحيفتك لضاع علي الزمان."[8]

هـ – " لو كتب هذا الكلام الذي في رقعته على فخذ خروف سمين، وألقي على الطريق لأنفت من أكله الكلاب."[9]

و- "لو اتبعت مذهب الحنابلة في التشبيه هلكت معهم."[10]

ز- " فلو كان بينه وبينهم قرابة ما ضرنا ذلك عنده؛ لأنا ما قتلنا أحدا منهم، ولا نقضنا له عهدا، ولا قبضنا على أولادهم حتى بغوا علينا، وأرادوا هلاكنا وإخراج الديار المصرية من يد الإسلام على أيدي المشركين."[11]

ح- " ولو لم يكن إلا المكان لكان عند النبي- صلى الله عليه وسلم- من الأواخي الحسنة، ومن القرابة والصحابة ما يزيلون كل ما في نفسه، ويطيبون قلبه علينا."[12]

ط- "لو تقدمتم قليلا ما احتجتم إلى هذا كله."

ي- " ولو أن اليهود جعلوا له على سب النبي- صلى الله عليه وسلم- جُعلا لبادر إلى ذلك مسرعا، ولم يصده عن ذلك تقى ولا دين."[13]

لقد جاءت هذه التراكيب متغيرة في بنيتها التركيبية، ومتفاوتة في درجة تعقيدها، ويتجلى ذلك فيما يأتي:

- لو + جملة الشرط (تركيب متعدد الإسناد) // جملة الجواب (تركيب متعدد الإسناد) .
- لو + جمل الشرط (تركيب متعدد الإسناد) // جملة الجواب (تركيب بسيط) .
- لو + جملة الشرط (تركيب بسيط) // جملة الجواب (تركيب بسيط) .
- لو + جملة الشرط (تركيب بسيط) // جملة الجواب (تركيب متعدد الإسناد) .

2.3 وصف الهيكلين: يلاحظ أن الهياكل في التراكيب المبدوءة بـ (لو) ليست متوازية جميعها، ففي المثالين: الأول والثاني، الهيكل الأول أعقد من الثاني، وفي الأمثلة: الثالث والرابع والخامس،

الهيكل الثاني أعقد من الأول، وفي الأمثلة: السادس والسابع والثامن، الهيكلان متوازيان في التعقيد، وفي المثالين: التاسع والعاشر، الهيكلان متوازيان في البساطة.

وهذا التفاوت في البساطة والتعقيد يفسر لنا الطريقة الإجرائية التي اتبعها الوهراني في التراكيب المتلازمة، والتي استندت أساسا إلى الدور النحوي السليم، والأداء الدلالي الواسع والدقيق .

وبهذا تؤدي هذه التراكيب المتلازمة العملية الإبلاغية بنمط كمي وكيفي، ولو كان ذلك على حساب التوازي بين الهيكلين. فالتوازي بينهما أمر نمطي تقتضيه ميكانيكية الإجراء النحوي القائمة على جزأين .

3.3 عمليات الإسناد في الهيكل الأول: لقد بلغ عدد العمليات الإسنادية المتعددة خمس مرات، وعدد العملية الإسنادية الواحدة خمس مرات أيضا.

ب- أنماط العمليات الإسنادية في الهيكل الأول: لقد خضعت العملية الواحدة لأنماط ثلاثة : أولها: (م + م إ + مم)، وقد تكرر مرتين، وثانيها: (م + م إ + ف + مم)، وقد ورد مرة واحدة فقط، وثالثها: (ناسخ + م إ + م)، وقد تردد مرتين، كما خضعت العمليات المتعددة لأنماط ثلاثة أيضا: أولها: (ناسخ + م إ + م[ ])، وقد ورد مرتين، وثانيها: (ناسخ + م إ + مم)، وقد ورد مرة واحدة ، وثالثها: (م + م إ + ف + مم)، وقد تكرر مرتين.

لقد احتوت العملية الواحدة على عناصر لم تتجاوز الأربعة، تمثلت في المسند و المسند إليه والفضلة والمتمم، أما العمليات المتعددة فقد تعددت وحداتها، ووصلت إلى ست (06) وحدات في التركيب الواحد، وتداخلت بعضها مع بعض بالانصهار أو بالعطف أو بهما معا، ومن الأدوات العاطفة التي استعملها الوهراني في الربط بين وحدات الإسناد في الهيكل الأول الواو، وقد ترددت ست (06) مرات .

4.3 عمليات الإسناد في الهيكل الثاني: في هذا الهيكل وردت العمليات المتعددة ست (06) مرات، والعملية الواحدة أربع (04) مرات .

4.3 أنماط العمليات الإسنادية في الهيكل الثاني: لقد جاءت العملية الواحدة وفق نمطين اثنين: أولهما: (م + مم+ م إ) في (د، هـ)، وثانيهما: (م + م إ [ضمير] + مم) في (و، ط)، وجاءت العمليات المتعددة وفق أنماط عدة، يصعب حصرها، لكثرة عناصرها، ولتنوع تداخلها، ومنها مثلا التركيب (أ)، فقد حوى سبع جمل، خضعت على التوالي للأنماط الآتية: الأولى: (م + مم)، والثانية:(م+ ف+ م إ)، والثالثة: (م+ م إ)، والبواقي: (م+ف+مم). وتداخلت كلها بالعطف بالواو إلا واحدة فب(حتى) .

وما يلاحظ هو أن العملية الواحدة تألفت في عمومها من ركني الإسناد [م + م إ]، ومن المتممات كالجار والمجرور والإضافة والظرف. وخلت من ركن الفضلة.

أما العمليات المتعددة فقد تعددت أنماطها، فأحيانا اكتملت أركانها، وترتبت (م+م إ+ ف)، وأحيانا تبدل ترتيبها (م+ف+م إ)، وأخرى اختلت أركانها واختفى بعضها كاختفاء المسند إليه في التراكيب: الأول والرابع والخامس والسادس والسابع من (أ).

5.3 الربط بين الهيكلين: لقد تمّ الربط بين هيكلي التركيب الشرطي المبدوء بـ " لو " بالفعل المباشر، وبالفعل الناسخ (كان)، وتردد تسع (09) مرات، وجاء مجردا من "لام التوكيد" و " ما " النافية في مثال واحد، و موصولا بهما في مثالين، وباللام فقط في ثلاثة أمثلة، وبما وحدها في مثالين .

أما الربط بالناسخ (كان) فقد وقع في تركيب واحد، وكان الفعل الناسخ ماضيا، واتصل بلام التوكيد، كما في (ح).

4.3 وصف أفعال الهيكلين :

-الهيكل الأول: حوى هذا الهيكل خمسة عشر فعلا ماضيا، وثلاثة أفعال مضارعة، وجاءت هذه الأفعال كلها تامة ومعلومة إلا خمسة، أربعة منها ناقصة، وواحد مجهول (كُتِب).

-الهيكل الثاني: اشتمل هذا الهيكل على تسعة وعشرين فعلا، تسعة عشر فعلا ماضيا، وعشرة أفعال مضارعة. وما يستخلص من هذا الإحصاء أن عدد الأفعال في الهيكل الثاني كان كثيفا، وهذا يفسر مدى تعقد هذا الهيكل .

إذا جمعنا أفعال الهيكلين سنحصل على ستة وأربعين (46) فعلا، وهذه الكثافة من الأفعال تدل دلالة واضحة على الحركية والحيوية الموجودة فيها. إن أربعة وثلاثين (34) فعلا من هذه الأفعال دل على الزمن الماضي، مما يدل على أن الكاتب قد استطاع أن يندمج بكليته مع الأحداث التي تخيل لحظة كتابتها أنها قد وقعت فعلا .

أما الأفعال المضارعة فلم يرد منها في الهيكلين سوى اثني عشر (12) فعلا، فهي قليلة إذا ما قورنت بالأفعال الماضية، ولكنها توحي بقدرة الكاتب على الجمع بين الزمانين، الماضي والحاضر، والانتقال بينهما بكل حرية، ليعيش بعض الأحداث الماضية في آنية حالية .

5.3 مستويات التعقيد في التراكيب الشرطية المبدوءة بـ " لو ":

لقد تفاوتت مستويات التعقيد من تركيب لآخر، ومن هيكل لآخر، وخضعت للمستويات الآتية :

-المستوى الأول: وهو ما قام على عملية إسنادية واحدة، وإن تعددت العناصر المكونة لها، وتجلى ذلك في هيكلي (ط) و(و)، وفي الهيكل الأول من (ز ، ح)، وفي الهيكل الثاني من (د ، هـ).

-المستوى الثاني: وهو ما اشتمل على عمليتين إسناديتين، كما هو الحال في (ب، ج، د، هـ، ي)، وتم التداخل بين وحداتها الإسنادية بالانصهار في الهيكل الأول من المثالين (ب) و(د)، وبالعطف في الهيكل الأول من المثال (هـ)، وفي الهيكل الثاني من المثال (ي).

-المستوى الثالث: وهو ما تداخل في تركيبي هيكليه أكثر من عمليتين إسناديتين، وتجسد ذلك في (أ، ب، ج، ز، ح). لقد ارتفع مستوى التعقيد في هذه الأمثلة؛ إذ حوى التركيب (أ) خمس عشرة

وحدة إسنادية، سبع منها في الهيكل الأول، وثمان في الهيكل الثاني، ووقع التداخل بالعطف بالواو في أربع منها في الهيكل الأول، وفي ست منها في الهيكل الثاني، وبالانصهار في اثنتين في الهيكل الأول، وواحدة في الهيكل الثاني، وحوى الهيكل الثاني للتركيب (ز) سبع وحدات إسنادية، تداخل ثلاث منها في الوحدة الكبرى بالانصهار, وثلاث بالعطف.

لقد اشتملت الأمثلة (ب) و(ج) و(ح) على ثلاثة تراكيب في كل منها، تداخلت أربعة منها بالانصهار في (ب) و(ح)، وخمسة منها بالعطف، اثنان في (ب) و(ح)، وثلاثة في (ج).

وما يمكن استخلاصه هنا هو:

-كثافة الوحدات الإسنادية في تراكيب المنام.

-غلبة الترابط بين الوحدات الإسنادية بالعطف على الترابط بالانصهار، بلغ الأول تسع عشرة (19) مرة، والثاني سبع (07) مرات .

-عدد التراكيب في الأمثلة المبدوءة بـ(لو) سبعة وثلاثون تركيبا، عشرون تركيبا فعليا، وعشرة تراكيب اسمية، ستة منها منسوخة بـ(كان)، وثلاثة منها منسوخة بـ (أن).

-تداخل مستويات التعقيد في هياكل التراكيب، فتجد الهيكل الأول يحكمه المستوى الأول، والهيكل الثاني يحكمه المستوى الثاني أو الثالث، والعكس بالعكس.

6.3. قراءة دلالية لتراكيب (لو) :

ثمة دلالات كثيرة بثها صاحبها في تراكيبه الشرطية المبدوءة بـ(لو) ، وتتمثل في :

أ – **الدلالة المعجمية** : لا أحد ينكر أن الوهراني كاتب مجيد ومبدع، ويشهد له بذلك كل من قرأ له، كالصفدي (ت 764 هـ) الذي قال عن المنام الكبير إنه حاكى فيه المعري (ت 449 هـ) في رسالة الغفران، "لكنه ألطف مقصدا، وأعذب عبارة"[14] ، وابن خلكان (ت 681 هـ) الذي قال عنه " ولو لم يكن له فيها[15] إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته..."[16].

ومن هذه المقدمة نلج إلى نصوص أديبنا التي زخرت بكم دلالي معجمي هائل تجسد في كل تركيب من تراكيب (لو)، وللتمثيل لذلك نقف على المثال (أ) الذي يصور لنا حريقا وقع في أحد المساجد :

أ- " لو أن النار كلست الكلاسة، واشتملت على الحيط الشمالي، وعرست في العروس، وأذنت بهلاك المؤذنين، وأُهلت لغير الله بدار ابن هلال تكون مثلها، لما اقتصرت على المقصورة، ولا بردتها البرادة حتى تصحن الصحن، وتنسر النسر، وتجرد القبة من رصاصها، وتكبها على عراصها، وترميكم بالخطب الفادح في الخطيب، وتحربكم إياه في المحراب."

اشتمل الهيكل الأول لهذا التركيب على ستة أفعال (كلست، اشتملت، عرست، أذنت، أهلت، تكون)، تتالت لتضفي دلالات مختلفة على كلمة النار، هذه النار التي أبى الوهراني إلا أن يصور لنا وظائفها المتعددة من خلال الأفعال التي أوردها لذكرها، فالنار (كلست)، أي : طلت، وقامت بدور

الدهان الذي يدهن الجدران وغيرها، و(اشتملت)، أي احتوت واستوعبت وسيطرت وكأن النار إنسان قد أحاط عدوه بيديه فلا يريد أن يفلته، أو حية قد التفت على فريستها فلا تفلتها إلا هامدة، و(عرست)، أي: أقامت في الفرح ، والإقامة تقتضي الحضور الجسدي، وكأن النار كائن بشري، يحتاج في حضوره إلى رجليه، وإلى كل جوارحه من يدين وأذنين وعينين و... ليستمتع بإقامته، و(أذنت) ، أي: أعطت الإذن وأمرت، والأمر وإعطاء الإذن لا يكون إلا من قائد أو حاكم له سلطة الأمر والنهي، وبيده حكم يخوله لأن يأمر وينهى. فأديبنا تنساق إليها الألفاظ تترى ليعبر بها عما يريد بسهولة ويسر، وبدقة ووضوح. إن الصورة الفنية للنار في هذا الهيكل واضحة المعالم، ظاهرة القسمات، دقيقة المفاصل، فهي كائن حي، كامل البنيان، له أيد يبطش بها، ويطال بها ما يشاء، وله سلطة يستطيع بموجبها أن يأمر وينهى.

واشتمل الهيكل الثاني على ثمانية أفعال (اقتصرت، ولا بردتها ، وتصحن، وتنسر ، وتجرد ، وتكبها، وترميكم ، وتحربكم)، دل كل فعل منها على عمل قامت به النار في هذا المسجد ، هذه النار التي اكتفت بالمقصورة، وكان بإمكانها أن تأتي على القبة، والعراص، والصحن، والمحراب، والخطيب، فهذه النار قررت أن تقتصر على المقصورة، وكأنها تنذركم، وإلا فكان بإمكانها أن تأخذ رصاص القبة، وتصهره، وتكبه على عراصها، وتحرق المحراب، وتهلك الخطيب.

الدلالة الصرفية: لا يمكن لأي تركيب صغير أم كبير ، طويل أم قصير أن يتأسس دون الصيغ الإفرادية، فالصيغ الإفرادية لبنات أساسية، لا يستغني النص عنها أبدا. وإن كاتبنا الوهراني بما وهبه الله من ملكة الكتابة استطاع أن يحكم قبضته على البنى الإفرادية، فيختار منها ما يخدم فكرته، ويثري نصه، ويبين خطابه.

لقد نظر كاتبنا إلى المشتقات فاختار منها صيغتين مبالغتين (الكلاسة والبرادة) الأولى للدلالة على المكان الذي يصنع فيه الكلس، والأخرى للدلالة على كثرة التبريد وقوته، واسم الفاعل (الفادح) للدلالة على أن الخطب كبير وعظيم، والمصدر (هلاك) للدلالة على صفة الموت وطبيعته.

ولجأ إلى أوزان الأفعال فانتقى منها وزن (فعل) الثلاثي (كلس، عرس، أذن، رمى)، ووزن (أفعل) الثلاثي المزيد بهمزة (أهلّ، أحرب)، ووزن (فعّل) الثلاثي المضعف العين (برّد صحن، نسر، جرد).)، ووزن (افتعل) الثلاثي المزيد بالألف والتاء (اشتمل، اقتصر).

ومعلوم أن كل وزن من هذه الأوزان له دلالته السياقية التي ابتغاها له الكاتب، فالفعل (أهل) دل على رفع الصوت، والفعلان (اقتصر واشتمل) دلا على المطاوعة، والأفعال (برد، صحن، نسر، وجرد) دلت على التكثير،

الدلالة الزمنية: إن البنية الزمنية دعامة أساسية في البناء السردي، ولذلك لم تخل تراكيب المنام الكبير منها. إن الأفعال في المثال (أ) بلغت أربعة عشر فعلا، سبعة منها أفعال ماضية (كلس، اشتملت، عرست، أذنت، أهلت، اقتصرت، بردتها)، وسبعة منها أفعال مضارعة (تكون، تُصحِّن،

تُنسِّر، تُجرِّد، تكب، ترميكم، تُحربكم)، لكن في الواقع الدلالي كل الأفعال تدل على الماضي؛ لأن أفعال المضارعة وإن كانت قد تدل على الحلية أو الاستقبال إلا أنها هنا جاءت في سياق سردي ماضوي فأدخلها في عباءته لتدل على تجدد الحدث واستمراريته في الماضي.

الدلالة المكانية: يرتبط الفضاء بالإدراك الحسي، ولا يستغني القارئ عنه للنفاذ إلى معاني النص، شأنه شأن كل المكونات التي يستخدمها الكاتب في نصه. فضاء المنام الكبير خيالي واسع، وهو يوم القيامة، لكن الكاتب استطاع أن يدخل ضمن هذا الفضاء فضاءات أخرى، ومنها الفضاء الموجود في المثال (أ)، وهو عبارة عن مسجد جامع. إذا قرأنا هذا التركيب سنجده يحتوي على الفضاءات الآتية (الكلاسة، الحيط الشمالي، دار ابن هلال، المقصورة، الصحن، القبة، المحراب)، وما من شك في أن كل فضاء من هذه الفضاءات له دلالة قد ساهمت في إثراء الدلالة الكلية للصورة الكلية للتركيب، ومن ثم للمنام الكبير كنص سردي.

الدلالة الإيقاعية: إن النص أي نص لا تكتمل جماليته دون إيقاع. والإيقاع تصنعه الكلمة أو الكلمات، والجملة أو الجمل، وتهتز له نفوسنا، وتطرب له آذاننا، وهو حركة متنامية، قلَّ من يجيد صناعتها بعفوية، وبكلمات مختارة، وجمل منتقاة.

إن البنية الإيقاعية في المنام الكبير واضحة جلية، تستشعرها النفس، وتستمتع بها الأذن، وقد تميزت بعفويتها وسلاستها وانسيابيتها، ونشأت من العناصر الآتية:

-الانسجام الصوتي في الألفاظ والعبارات (تصحن الصحن، وتنسر النسر).

-السجع العفوي (وتجرد القبة من رصاصها. وتكبها على عراصها).

4 التراكيب المبدوءة بـ " إن ":

لقد ورد منها في المنام ثمانية (08) أمثلة، وهي كالآتي:

أ- " إن أتاك الأشتر النخعي في نخعه مددا للطائيين، **فانزل** على المشرعة، **واثبت** لهم حتى **تتصل** بك الجيوش."[17]

ب- " وإن كانت وقعة صفين في الدنيا على دم عثمان- رضي الله عنه- ، **فوقعة** صفين في الآخرة حتى **نشرب** نحن سم الموت."[18]

ج- "وإن كنت من أهل السعادة **فما تدخل** الجنة إلا أجرد أمرد."[19]

د- "وإن كنت من أهل النار **فالزبانية** **يعملون** منها الفتايل **توقد** ليلة الميلاد فتيلة باب الجحيم."[20]

هـ- " **إن كان** لكم ثقة تشهد ببراءتكم **فهاتوه** **وإلا** فلا **تقربوا** هذا المكان."[21]

و - " **إما** تحاللله من دينك بطيبة من قلبك **وإلا فاضرب** برأسك الحيطان."[22]

لقد تفاوتت بنيات هذه التراكيب في درجات التعقيد، وذلك كالآتي (بحسب ترتيب الأمثلة):

أ - إن + جملة الشرط (تركيب فعلي بسيط) //جملة الجواب (تركيب فعلي متعدد الإسناد) .

ب- إن + جملة الشرط (تركيب بسيط منسوخ) //جملة الجواب (تركيب اسمي متعدد الإسناد)

ج- إن + جملة الشرط (تركيب بسيط منسوخ) //جملة الجواب (تركيب فعلي بسيط) .

د- إن + جملة الشرط (تركيب بسيط منسوخ) //جملة الجواب (تركيب اسمي متعدد) .

أما التركيبان (هـ) و(و) فقد اشتمل كل تركيب منهما على تركيبين شرطيين تداخلا بالعطف بالواو، فالتركيب (هـ) تألف من تركيبين هما:

1- إن + جملة الشرط (تركيب متعدد الإسناد منسوخ) // جملة الجواب (تركيب بسيط)

2- إلا (إن + لا) + جملة الشرط (محذوفة)[7] // جملة الجواب (تركب فعلي بسيط) .

أما التركيب (و) فقد تألف من تركيبين هما:

1- إما (إن + ما) + جملة الشرط (تركيب فعلي بسيط) // جملة الجواب (محذوفة) .

2- إلا (إن + لا) + جملة الشرط (محذوفة) // جملة الجواب (تركيب فعلي بسيط) .

أ- وصف الهيكلين: نستخلص مما سبق أن تراكيب الهيكلين في أمثلتنا قد جاءت كالآتي:

- الهيكلان بسيطان كما في المثالين (ج) و (و) . - الهيكل الأول أعقد من الثاني، كما في المثال (هـ1) .

- الهيكل الثاني أعقد من الأول، كما في الأمثلة (أ) و (ب) و (د) . الهيكل الثاني محذوف كما في (و1).

- الهيكل الأول محذوف لوجود ما يدل عليه، كما في (هـ2)، و(و2) .

ب- عمليات الإسناد في الهيكل الأول: بلغ عددها خمسا، أربع منها أحادية الإسناد، وواحدة متعددة الإسناد.

ج- أنماط العمليات الإسنادية: لقد وردت العملية الواحدة وفق ثلاثة أنماط: أولها: (ناسخ + م إ + م[جار ومجرور]) في الأمثلة (ب – ج – د)، وثانيها: (م + ف + م إ + مم ×) في المثال (أ)، وثالثها: (م + م إØ + ف + مم(في المثال (و)، أما العمليات المتعددة فقد وردت في نمط واحد فقط هو: ناسخ + مم + م إ + م[تركيب فعلي] في المثال (هـ1)

لقد احتوت العملية الواحدة على الأركان الأساسية في التركيب، وهي المسند والمسند إليه، هذا بالإضافة إلى عنصري الفضلة والمتمم، أما العمليات المتعددة، فقد اشتملت على وحدتين إسناديتين، كبرى وصغرى، وقد تداخلتا بالانصهار، وذلك في (هـ1).

د- عمليات الإسناد في الهيكل الثاني: بلغ عدد العملية الواحدة ثلاث (03)، وعدد العمليات المتعددة ثلاث مرات (03).

هـ - أنماط العمليات الإسنادية في الهيكل الثاني: لقد خضعت العملية الواحدة لأنماط ثلاثة: أولها: (م + م إØ + ف + مم) في المثال (ج)، وثانيها: (م + م إ + ف) في المثال (هـ1، هـ2)، وثالثها: (م + م إ Ø + مم + ف) في المثال (و2)، وخضعت العمليات المتعددة لأنماط ثلاثة: أولها: (م + م إØ + مم

+ [م + م إØ + مم] + [م + مم + م إ] في (أ)، وثانيها: (م إ + م + مم + [م + م إØ + مم + ف + مم]) في (ب)، وثالثها: (م إ + م[م + م إ + مم + ف[م + مم + م إ + مم]) في (د).

يبرز في العمليات المتعددة عنصر الفضلة الذي وجد في أغلب التراكيب، كما يبرز عنصر المتممات، الذي تمثل في المجرور بالحرف والإضافة، والتوكيد، والنعت، والمفعول فيه.

لقد انتمت الوحدات الإسنادية الصغرى في الهيكل الثاني إلى الوحدات الكبرى بالعطف والانصهار، وقد أدت وظائف نحوية ودلالية مختلفة، تمثلت في: 1 ـ التنويع الدلالي. 2 ـ الشرطية. 3 . الوصف.

لقد تنوعت عناصر العملية الإسنادية الواحدة، واشتملت على عناصر الإسناد الأساسية، وهي المسند والمسند إليه في الأمثلة (هـ، ب، د)، وخلت من المسند إليه في الأمثلة (ج، و، أ) ، أما العمليات المتعددة، فقد تنمطت من عدة وحدات إسنادية، وحدة كبرى وتفرعت عنها وحدات أخرى صغرى قامت بدور المسند ، كما في المثال (د) ، أو المتمم كما في (ب ، أ).

و- الربط بين الهيكلين: لقد حصل الربط بين هيكلي هذه التراكيب بالفاء التي اتصلت بفعل طلبي في الأمثلة (أ) و (هـ) و(و1)، وبفعل مضارع منفي[23] بـ"ما" في المثال (ج)، ومنفي بـ"لا" في المثال (هـ1)، وبـ(اسم) في المثالين (ب) و(د) .

ز- وصف الهيكلين:

- **الهيكل الأول:** لقد ترددت الأفعال الماضية خمس (05) مرات، أربعة منها أفعال كونية ناقصة، أما الأفعال المضارعة فقد وردت مرتين، ودلت في إحداها على الاستمرار في الماضي لمجيئه بعد الفعل كان، وفي الأخرى (تحالله) على الاستقبال.

- **الهيكل الثاني:** لقد خلا هذا الهيكل من الفعل الماضي، وورد الفعل الطلبي فيه أربع (04) مرات، والمضارع ست (06) مرات،وبالتالي الزمن البارز في هذا الهيكل هو الحالية والاستقبال. ومن إحصاء ووصف أفعال الهيكلين نستنتج تكافؤ الهيكلين في عدد الأفعال، وغلبة الفعل الماضي في الهيكلين الأول والثاني، وغلبة الفعل المضارع في الهيكل الثاني، وشغور الهيكل الأول من الفعل الطلبي، وشغور الهيكل الثاني من الفعل الماضي.

وإذا جمعنا أفعال الهيكلين حصلنا على سبعة عشر (17) فعلا، إذا قسمناها على التراكيب الشرطية المبدوءة بإن، والتي عددها ستة (06) ، صار لكل تركيب ثلاثة (03) أفعال تقريبا. وهذا يعكس الحركية التي اصطبغت بها التراكيب المبدوءة بإن، والتوازن الزماني بين الهياكل.

ز- مستويات التعقيد في هذه التراكيب: يمكن أن نخضع هذه التراكيب إلى:

المستوى الأول: هو الأبسط؛ لأنه يقوم على عملية إسناد واحدة، كما هو الحال في المثال (ج) .

المستوى الثاني: هو أكثر تعقيدا من الأول، لكونه يتألف من عمليتين إسناديتين بصرف النظر عن طريقة التداخل فيما بينها، كما هو الحال في المثال (ب).

إن مستوى التعقيد في تركيب هذا المثال لا يتجسد في الهيكل الأول، وإنما في الهيكل الثاني لاحتوائه وحدتين إسناديتين، أولاهما كبرى، وهي تركيب اسمي، وأخراهما صغرى، وهي تركيب فعلي. ولقد تم انتماء الصغرى إلى الكبرى بـ"حتى".

المستوى الثالث: ويمثل الحد الأقصى في التعقيد؛ لأنه اشتمل على ثلاث (03) عمليات إسنادية، كما في المثالين (أ) و (د) المثال (أ) : - "وإن أتاك الأشتر النخعي في نخعه مددا للطائيين، فانزل المشرعة واثبت لهم حتى تتصل بك الجيوش."[24] المثال (د) : "وإن كنت من أهل النار فالزبانية يعملون منها الفتايل توقد ليلة الميلاد فتيلة باب الجحيم."[25]

ما يلاحظ في هذين التركيبين أن مستوى التعقيد يتجلى في الهيكل الثاني، الذي اشتمل في المثالين على ثلاثة تراكيب، تداخلت في المثال (أ) بالعطف بـ"الواو" وبـ"حتى"، وتداخلت في المثال (د) بالانصهار.

ولا نترك التراكيب الشرطية المبدوءة بـ"إن" حتى نشير إلى أن بعض التراكيب تداخل فيها تركيبان شرطيان، ظهرا وكأنهما تركيب واحد أو يكاد، كما هو الحال في المثالين الآتيين:

هـ- "إما تحالله من دينك بطيبة منك وإلا فاضرب برأسك الحيطان."[26]

و- "إن كان لكم ثقة تشهد ببراءتكم فهاتوه، وإلا فلا تقربوا هذا المكان."[27]

إن التركيب (هـ) قد صدر بـ"إن" الشرطية مدغمة في "ما" النافية، وقد خلا من الهيكل الثاني (الجواب) ، واقترن به تركيب شرطي آخر مبدوء بـ"إن" مدغمة في "لا" النافية، وقد خلا من الهيكل الأول (جملة الشرط) ، وبالتالي صار الهيكل الثاني من التركيب الشرطي الثاني، وكأنه جواب شرط الهيكل الأول في التركيب الشرطي الأول.

أما التركيب (و) فقد اجتمع فيه تركيبان شرطيان (و1) و (و2). التركيب (و1) وجد فيه الهيكلان، أما (و2) فقد افتقر إلى الهيكل الأول، الذي تضمنه سياق الهيكل الثاني للتركيب (و1) ، وتقديره هو:

- "...فهاتوه وإلا تأتوا به فلا تقربوا هذا المكان."

3.3 التراكيب المبدوءة بـ " لولا ":

ورد منها في المنام الكبير مثالان، وهما :

أ- "لولا ملازمة الصلاة بين المقصورتين لكنت من الهالكين."[28]

ب- "ولولا ما ظهر من تعصبك لأهل الشر لطرت مع الملائكة إلى سدرة المنتهى من أول."[29]

تختص "لولا" بدخولها على التراكيب الاسمية.[30]

أ- **وصف الهيكلين:** تتميز التراكيب المبدوءة بـ"لولا" بأن تأتي جملة الشرط اسمية ، وجملة الجواب فعلية.

جاء الهيكلان بسيطان في المثال الأول. وجاء الهيكل الأول أعقد من الثاني في المثال الثاني.

ب- **عمليات الإسناد في الهيكلين:** وردت العملية الواحدة مرة واحدة في الهيكل الأول، ومرتين في الهيكل الثاني، ووردت العمليات المتعددة مرة واحدة في الهيكل الأول.

ج - **أنماط العمليات الإسنادية:** لقد خضعت العمليات الإسنادية للأنماط الآتية:

- (لولا + م إ + مم + مØ) //

ناسخ + م إ + م [مجرور بالحرف] في (أ).

- (لولا + م إ [م + م إ Ø + مم]

+ مØ // م + م إ + مم) في (ب).

وما يلاحظ هو أن التركيب المبدوء بـ(لولا) اسمي، وخال من المسند، وأن العملية الواحدة قد ترددت في المثال (أ) بهيكليه، وفي الهيكل الثاني من المثال (ب)، وأن الهيكل الثاني لـ((أ) تركيب منسوخ بـ(كان) اتصل بلام التوكيد، ومسنده ناب عنه المجرور بالحرف، وأن العمليات المتعددة قد وردت مرة واحدة في الهيكل الأول من المثال (ب)، وأن وحدته الكبرى قد دخلت فيها الوحدة الصغرى بالانصهار؛ لأنها صلة الموصول (ما)، وخلت من المسند إليه، وحوت متممين تمثلا في مجرورين بالحرف.

د - **مستويات التعقيد في الهيكلين:** لقد خضعت تراكيب (لولا) للمستويات الآتية:

المستوى الأول: وتحقق في هيكلي المثال (أ) ، وفي الهيكل الثاني للمثال (ب).

المستوى الثاني: ونجده في الهيكل الأول للمثال (ب).

هـ- **وصف أفعال الهيكلين:** إن تركيبي الهيكلين في المثالين (أ، ب) اشتملا على ثلاثة (03) أفعال، كلها ماضية، وسجلت شغورا في الأفعال المضارعة والطلبية، وذلك لأن دلالة (لولا) تقوم على امتناع شيء لوجود غيره[31].

3.3 التراكيب المبدوءة بـ "أما ":

عددها ستة (06) ، وهي:

أ- " **أما** الثلاثة **فعبد الرحمن** بن ملجم المرادي، والشمر بن ذي الجوشن الضبابي، والحجاج بن يوسف الثقفي، والشيخ الكبير أبو مرة إبليس فجار الخلائق."[32]

ب- " **وأما** الفرح الذي ألهاهم عن توقع العقاب حتى استفزهم السرور ورقصهم مع ما كانوا عليه من رجاحة العقول ونزاهة النفوس **فهو** الطمع في رحمة الله تعالى بعد اليأس منها لعلمهم بما اجترحوا من العظائم."[33]

ج- " **وأما** أنا **ما أقدر** أوقع عيني في عينيه."[34]

د- " **وأما** هذا **فإنه** رجل عليمي، وهو فخذ من كلب بن وبرة، من أخوال أمير المؤمنين."[35]

هـ- "**وأما** هذا **فإنه** دمشقي من عبيد أمير المؤمنين."

و- "**وأما** هذا **فإنه** رجل مغربي حضرت معه في دار الدنيا في دعوة، فيها جماعة من الأعيان، في دار ابن الشهرزوري في الجوانية."[36]

خصوصية التراكيب المبدوءة بـ(أما)[37] أنها لا تتألف من هيكلين كغيرها من التراكيب الشرطية؛ لأن (أما) تقوم مقام اسم الشرط (مهما)[38]، الواجب حذف جملته الشرطية.

لقد خضعت هذه التراكيب المتلازمة للأنماط الآتية:

- أما[39] + جملة الشرط (محذوفة) //جملة الجواب (تركيب اسمي بسيط) .
- أما + جملة الشرط (محذوفة) //جملة الجواب (تركيب اسمي متعدد الإسناد) .
- أما + جملة الشرط (محذوفة) //جملة الجواب (تركيب فعلي متعدد الإسناد) .

أ- **العمليات الإسنادية:** لقد سيطرت على هذه التراكيب العمليات المتعددة، والتي بلغ عددها اثنتي عشرة مرة.

ج- أنماط العمليات الإسنادية:

أ- **أما** + م إ + **الفاء** + م + مم (ثلاث مرات اسم معطوف)

ب- **أما** + م إ + مم [م + ف + مم] + [م + ف + م إ] + [م + ف + مم [ناسخ+ م إ+ م (مم)] + **الفاء**+ م [م إ + م + مم [م + م إ + مم] = (06 عمليات)

ج- **أما** + م إ + م [م + م إ Ø + ف[م+م إ+ مم] = (عمليتان)

د- **أما** + م إ + **الفاء** + م [ناسخ + م إ + م + مم] = (عملية واحدة)

هـ- **أما** + م إ + **الفاء** + م [ناسخ + م إ + م + مم [م+م إ+مم [م+م إ]+مم= (03 عمليات)

ما يلاحظ هو أن المسند (الخبر) جاء مفردا في المثال (أ)، أما في سائر الأمثلة فقد جاء تركيبا فعليا في (ج)، وتركيبا اسميا في (ب)، وتركيبا منسوخا بـ(إن) في (د، هـ، و).

وما يلاحظ أيضا هو أن العمليات المتعددة تواترت اثنتي عشرة مرة، وتداخلت الوحدات الصغرى في الكبرى بالعطف بالواو، وبـ(حتى) في (ب)، وبالانصهار لوقوعها صلة للموصول في (ب)، وجملة اسمية خبرا في (ب)، وجملة اسمية منسوخة بـ(إن) خبرا في (د، هـ، و)، وجملة فعلية خبرا في (ج)، وجملة فعلية صفة في (و)، وشبه جملة صفة في (و) أيضا.

د- الربط بين أركانه: وما تجدر الإشارة إليه هو أن تركيب (أما) تصاحبه الفاء للربط بين المسند إليه (المبتدأ) والمسند (الخبر)، وهذا ما حصل في كل أمثلتنا إلا المثال (ج) فإن الفاء فيه اختفت من بنيته السطحية، لكنها موجودة في بنيته العميقة.

هـ - وصف أفعال تراكيب "أما" : ما يلفت الانتباه في هذه التراكيب، هو أن الأمثلة (أ، هـ، و) قد خلت من الأفعال تماما، وأن الأمثلة المتبقية قد حوت ستة (06) أفعال ماضية، و فعلين مضارعين.

و- مستويات التعقيد في تركيب "أما" : لقد خضعت تراكيب (أما) للمستويات الآتية:

المستوى الأول: وتحقق في المثال (أ).

المستوى الثاني: ونجده في المثالين (ج، د).

المستوى الثالث: وقد تكرر أربع (04) مرات في (ب)، وثلاث مرات في (و) .

المثال (ب): " وأما الفرح الذي ألهاهم عن توقع العقاب حتى استفزهم السرور ورقصهم مع ما كانوا عليه من رجاحة العقول ونزاهة النفوس فهو الطمع في رحمة الله تعالى بعد اليأس منها لعلمهم بما اجترحوا من العظائم."[40]

و- "وأما هذا فإنه رجل مغربي حضرت معه في دار الدنيا في دعوة،فيها جماعة من الأعيان، في دار ابن الشهرزوري في الجوانية." [41]

لقد اشتمل المثال (ب) على سبع عمليات متعددة الإسناد، حسبنا منها ما تفرع عن المسند إليه، الذي التقت عنده أربع وحدات إسنادية، جسدت بجلاء ووضوح المستوى الثالث، وكانت أولاها جملة فعلية، فعلها ماض (ألهاهم)، وثانيتها جملة فعلية، فعلها ماض (استفزهم)، وثالثتها جملة فعلية، فعلها ماض (رقصهم)، ورابعتها جملة اسمية منسوخة بالفعل الماضي (كان). وتداخلت هذه الوحدات بالانصهار في الأولى والرابعة، وبالعطف بـ(حتى) والواو في الثانية والثالثة.

أما المثال (و) فقد تفرع عند مستوى الإسناد في المسند ثلاثة (03) تراكيب:

1- تركيب اسمي منسوخ بـ(إن) قام مقام المسند.

2- تركيب فعلي بسيط قام بدور النعت في الإسناد الأول.

3- تركيب اسمي بسيط قام بدور النعت في الإسناد الثاني.

وهذه الوحدات الثلاث تداخلت بعضها مع بعض بطريقة الانصهار. وذلك كالآتي:

إس3 ينتمي إلى إس2 و إس2 ينتمي إلى إس1 و إس1 تنتمي إلى إس

نستخلص من استقرائنا للتراكيب المبدوءة بـ"أما" ما يأتي:

1 إن جملة الشرط في تراكيب "أما" قد اختفت.

2-إن المسند (الخبر) جاء في ستة (05) أمثلة في صورة عمليات متعددة، ومرة في صورة مفرد.

3- إن المسند إليه (المبتدأ) جاء مرة واحدة متعدد الإسناد، وفي سائر الأمثلة جاء مفردا،

4- إن العمليات المتعددة قد تكررت سبع (07) مرات في (ب)، وثلاث مرات في (ج، د)، ومرتين في (هـ)، وأربع مرات في (و).

5- إن الرابط في تراكيب "أما" لم نجده بين الهيكلين لانعدام الأول، ولكنا وجدناه بين المسند إليه (المبتدأ) والمسند (الخبر)،

وما يمكن أن نضيفه هاهنا هو أن هذه التراكيب لم تتقارب فقط في درجة تعقيدها، بل تقاربت أيضا في عدد عناصرها. وهذا التقارب في درجة التعقيد، وفي عدد المؤلفات يحدث انسجاما في بنية هذه التراكيب. وهذا الانسجام تصدر عنه إيقاعات موسيقية، ونغمات جرسية، سببها ذلك التناسق الداخلي والتكافؤ الخارجي.

ز- البنية المدلولية: من المعلوم أن الأمر إذا كان من أعلى إلى أسفل أفاد الطلب الحقيقي[42]، أما إذا كان من مكافئ- كما هو الحال في أمثلتنا- فإنه يخرج إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام[43]، وإذا تتبعنا دلالات الطلب في هذه التراكيب سنجد السخرية والاستهزاء في المثال (أ)، والالتماس في المثال (ب)، والرجاء في المثال (ج)، والتوجيه والإرشاد في المثال (د).

4.3 قراءة دلالية للتراكيب الشرطية:

ثمة دلالات كثيرة بثها صاحبها في تراكيب المنام المختلفة، الاسمية ، الفعلية، الظرفية، الشرطية. وما دامت دراستنا مقصورة على التراكيب الشرطية، فسنحصر مجال بحثنا وتمثيلنا فيها، وبالتحديد في المثالين الآتيين:

أ- " لو أن النار كلست الكلاسة، واشتملت على الحيط الشمالي، وعرست في العروس، وأذنت بهلاك المؤذنين، وأُهلت لغير الله بدار ابن هلال تكون مثلها، لما اقتصرت على المقصورة، ولا بردتها البرادة حتى تُصحِّن الصحن، وتُنسِّر النسر، وتُجرِّد القبة من رصاصها، وتكُبها على عراصها، وترميكم بالخطب الفادح في الخطيب، وتُحربكم إياه في المحراب".

ب- " وأما الفرح الذي ألهاهم عن توقع العقاب حتى استفزهم السرور، ورقَّصهم مع ما كانوا عليه من رجاحة العقول، ونزاهة النفو، فهو الطمع في رحمة الله تعالى بعد اليأس منها، لعلمهم بما اجترحوا من العظائم."

لا أحد ينكر أن الوهراني كاتب مجيد ومبدع، ويشهد له بذلك كل من قرأ له، كالصفدي (ت 764 ه) الذي قال عن المنام الكبير إنه حاكى فيه المعري (ت 449 ه) في رسالة الغفران، "لكنه ألطف مقصدا، وأعذب عبارة" ، وابن خلكان (ت 681 ه) الذي قال عنه " ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته"، ففي عبارة الصفدي إشارة واضحة إلى عذوبة لفظ المنام الكبير، ولطافة مقصديته، وفي كلام ابن خلكان اعتراف صريح بالقيمة الأدبية للمنام الكبير، ولحلاوته شكلا ومضمونا، لفظا وعبارة، لغة وأسلوبا.

1– الدلالة المعجمية :

من هذه المقدمة نلج إلى نصوص أديبنا التي زخرت بكم دلالي معجمي هائل تجسد في كل تراكيبه، وللتمثيل لذلك نقف على :

- المثال (أ) الذي يصور لنا حريقا وقع في أحد المساجد:

اشتمل الهيكل الأول لهذا التركيب على ستة أفعال (كلست، اشتملت، عرست، أذنت، أهلت، تكون)، تتالت لتضفي دلالات مختلفة على كلمة النار، هذه النار التي أبى الوهراني إلا أن يصور لنا وظائفها المتعددة من خلال الأفعال التي أوردها لذكرها، فالنار (كلست)، أي : طلت، فماذا طلت؟ وبم طلت؟ وما لون طلائها؟ وما مغزاه ؟ أهو التزيين أم التشيين؟

و(اشتملت)، أي احتوت واستوعبت وسيطرت وكأن النار إنسان قد أحاط عدوه بيديه فلا يريد أن يفلته، أو حية قد التفت على فريستها فلا تفلتها إلا هامدة.

و(عرست)، أي: أقامت في الفرح ، والإقامة تقتضي الحضور الجسدي، وكأن النار كائن بشري، يحتاج في حضوره إلى رجليه، وإلى كل جوارحه من يدين وأذنين وعينين و... ليستمتع بإقامته.

و(أذنت) ، أي: أعطت الإذن وأمرت، والأمر وإعطاء الإذن لا يكون إلا من قائد أو حاكم له سلطة الأمر والنهي.

ما نلاحظه ÷و أن أديبنا تنساق إليها الألفاظ تترى ليعبر بها عما يريد بسهولة ويسر، وبدقة ووضوح. إن الصورة الفنية للنار في هذا الهيكل واضحة المعالم، ظاهرة القسمات، دقيقة المفاصل، فهي كائن حي، كامل البنيان، له أيد يبطش بها، ويطال بها ما يشاء، وله سلطة يستطيع بموجبها أن يأمر وينهى.

واشتمل الهيكل الثاني على ثمانية أفعال (اقتصرت، ولا بردتها ، وتصحن، وتنسر ، وتجرد ،وتكبها، وترميكم ، وتحربكم)، دل كل فعل منها على عمل قامت به النار في هذا المسجد ، هذه النار التي اكتفت بالمقصورة، وكان بإمكانها أن تأتي على القبة، والعراص، والصحن، والمحراب، والخطيب، فهذه النار قررت أن تقتصر على المقصورة، وكأنها تنذركم، وإلا فكان بإمكانها أن تأخذ رصاص القبة، وتصهره، وتكبه على عراصها، وتحرق المحراب، وتهلك الخطيب.

المثال (ب) : لقد زخر هذا المثال بألفاظ أقل ما يقال عنها: إنها اختيرت بعناية لطيفة، وسيقت بطريقة ظريفة، فزانت التركيب، وازدانت به، وأغنته واستغنت به، وأضافت إليه دلالات إبلاغية سياقية، ما كانت لتتحق لولا حسن التوظيف، وجمال الرصف.

هذه الألفاظ هي (الفرح، ألهاهم، توقع، العقاب، استفزهم، السرور، رقصهم، رجاحة، نزاهة، الطمع، اليأس، اجترحوا، العظائم). وسنكتفي ببعض الألفاظ لنبين قدرة كاتبنا على تلمس الألفاظ، واستنطاقها، وتسخيرها في أماكنها المناسبة، ومن ذلك لفظتا(السرور والفرح)، إن السرور لا يكون إلا بما فيه نفع أو لذة حقيقة، كالأكل والشرب والملبس وغيرها، أما الفرح فقد يحصل بما ليس بنفع ولا لذة، كالجري، والقفز، والسباحة، والمبارزة وغيرها مما يتعب الإنسان وقد يؤذيه. وكاتبنا أجاد استخدام اللفظتين، فالإنسان يعجبه جو الفرح، ويغريه، فيستمتع به، ويتلذذ، وينسى أن في ذلك الفرحة أذى له.

ولفظة (ألهاهم) التي تكررت مشتقاتها في القرآن ست عشرة مرة (ألهاكم، ويلهيهم، تلهّى، تلهكم، لهو، تلهيهم، لاهية)، استخدمها الوهراني فأجاد استخدامها فقال (ألهاهم)، ولم يقل صرفهم ،أو شغلهم، أو سلاهم؛ لأن (ألهى) تحمل كل هذه المعاني.

ولفظة (استفزهم) التي تعني في المعجم (أثار، وأغضب، وأزعج) لكن عند الوهراني، (استفزهم السرور) ، أي: جعلهم يعيشون حالة من السرور، حملتهم على الرقص.

2- **الدلالة الصرفية:** لا يمكن لأي تركيب صغير أم كبير ، طويل أم قصير أن يتأسس دون الصيغ الإفرادية، فالصيغ الإفرادية لبنات أساسية، لا يستغني النص عنها أبدا. وإن كاتبنا الوهراني بما وهبه الله من ملكة الكتابة استطاع أن يحكم قبضته على البنى الإفرادية، فيختار منها ما يخدم فكرته، ويثري نصه، ويبين خطابه.

لقد نظر كاتبنا إلى المشتقات فاختار منها صيغتين مبالغتين (الكلاسة والبرادة) في المثال (أ) المذكور، الأولى للدلالة على المكان الذي يصنع فيه الكلس، والأخرى للدلالة على كثرة التبريد وقوته، واسم الفاعل (الفادح) للدلالة على أن الخطب كبير وعظيم، والمصدر (هلاك) للدلالة على صفة الموت وطبيعته.

ولجأ إلى الأفعال التي دخلت عليها الأحرف الزائدة، فانتقى منها وزن (أفعل) الثلاثي المزيد بهمزة (أهلّ، أحرب)، ووزن (فعّل) الثلاثي المضعف العين (برّد صحن، نسر، جرد.)، ووزن (افتعل) الثلاثي المزيد بالألف والتاء (اشتمل، اقتصر) في المثال (أ).

ومعلوم أن كل وزن من هذه الأوزان له دلالته السياقية التي ابتغاها له الكاتب، فالفعل (أهل) دل على رفع الصوت، والفعلان (اقتصر واشتمل) دلا على المطاوعة، والأفعال (برد، صحن، نسر، وجرد) دلت على التكثير.

أما الأفعال في المثال (ب) فقد تمثلت في (ألهاهم، استفزهم، رقصهم، كانوا ،تعالى ، اجترحوا)، وقد وافقت الأوزان الآتية (أفعل، استفعل، فعّل (مضعف العين)، فعل، تفاعل، افتعل)، وطبعا لكل حرف من أحرف الزيادة دلالة يضيفها للكلمة، فكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى.

3- **الدلالة الزمنية:** إن البنية الزمنية دعامة أساسية في البناء السردي، ولذلك لم تخل تراكيب المنام الكبير منها. إن الأفعال في المثال (أ) بلغت أربعة عشر فعلا، سبعة منها أفعال ماضية (كلس، اشتملت، عرست، أذنت، أهلت، اقتصرت، بردتها)، وسبعة منها أفعال مضارعة (تكون، تُصحِّن، تُنسِّر، تُجرِّد، تكب، ترميكم، تُحربكم)، لكن في الواقع الدلالي كل الأفعال تدل على الماضي: لأن أفعال المضارعة وإن كانت قد تدل على الحالية أو الاستقبال، إلا أنها هنا جاءت في سياق سردي ماضوي فدخلت في عباءته لتدل على تجدد الحدث واستمراريته في الماضي.

أما الأفعال في المثال (ب) فقد تمثلت في (ألهاهم، استفزهم، رقصهم، كانوا ،تعالى ، اجترحوا)، وكلها أفعال ماضية، وإن تفاوتت في ماضويتها، فـ(ألهى) سابق في زمنية الحدوث عن (استفز)، و(استفز) سابق عن (رقص)، فاللهو هو الذي جلب لهم السرور، والسرور هو الذي جعلهم يرقصون،وهكذا..

4- **الدلالة المكانية:** يرتبط الفضاء بالإدراك الحسي، ولا يستغني القارئ عنه للنفاذ إلى معاني النص، شأنه شأن كل المكونات التي يستخدمها الكاتب في نصه. فضاء المنام الكبير خيالي واسع، وهو

يوم القيامة، لكن الكاتب استطاع أن يدخل ضمن هذا الفضاء فضاءات أخرى، ومنها الفضاء الموجود في المثال (أ)، وهو عبارة عن مسجد جامع.

إذا قرأنا هذا التركيب سنجده يحتوي على الفضاءات الآتية (الكلاسة، الحيط الشمالي، دار ابن هلال، المقصورة، الصحن، القبة، المحراب)، وما من شك في أن كل فضاء من هذه الفضاءات له دلالة قد ساهمت في إثراء الدلالة الكلية للصورة الكلية للتركيب، ومن ثم للمنام الكبير كنص سردي.

أما في المثال (ب) فالفضاء الكبير واحد، وهو الذي حصل فيه اللهو، واجتراح الذنوب من الإنسان، لكن هذا الفضاء تنضوي تحته الكثير من الفضاءات الصغيرة والضيقة، والمتعددة ، فاللهو قد يكون في الدولة، أو المدينة، أو القرية، أو الحي، أو الشارع، أو السوق، أو المسرح، أو البيت، أو .....

5- الدلالة الإيقاعية: إن النص أي نص لا تكتمل جماليته دون إيقاع. والإيقاع تصنعه الكلمة أو الكلمات، والجملة أو الجمل، وتهتز له نفوسنا، وتطرب له آذاننا، وهو حركة متنامية، قلَّ من يجيد صناعتها بعفوية، وبكلمات مختارة، وجمل منتقاة.

إن البنية الإيقاعية في المنام الكبير واضحة جلية، تستشعرها النفس، وتستمتع بها الأذن، وقد تميزت بعفويتها وسلاستها وانسيابيتها، ونشأت من العناصر الآتية:

-الانسجام الصوتي في الألفاظ والعبارات (تصحن الصحن، وتنسر النسر).

-السجع العفوي (وتجرد القبة من رصاصها. وتكبها على عراصها).

- التقارب الصوتي وتساوقه كما بين (أجرد أمرد).

- التكرار بين (وقعة صفين.. فوقعة صفين).

6- دلالة التكرار: يلجأ الباث عادة إلى التكرار لبيان أهمية المكرر، وللتأكيد عليه حتى لا ينسى ويهمل، فالتكرار ليس ترفا دائما. وعند كل من نقرأ لهم، فمنهم من يعتبره رسالة تحمل بعدا دلاليا عميقا يحتاج إلى الوقوف عنده بغية استنطاقه وتأويله. إذا للتكرار ظلال يجب الوقوف عندها لاستجلائها ومعرفة أبعادها التاريخية، أو النفسية أو الاجتماعية أو الدينية أو ...

وكاتبنا كرر كلمتي (وقعة صفين) في التركيب الآتي:

" وإن كانت وقعة صفين في الدنيا على دم عثمان- رضي الله عنه- ، فوقعة صفين في الآخرة حتى نشرب نحن سم الموت."

وقارئ التاريخ يعرف ما حصل في وقعة صفين، وما سفك فيها من دماء بين المسلمين من الرعيل الأول، أي من جيل الصحابة والتابعين، فلم ذكرها والتذكير بها؟ ولم وصف موقف الناس يوم القيامة بوقعة الصفين؟ فما الرابط بين الاثنين؟ والوقعة يوم القيامة بين من ومن ؟

أعتقد أنه يشير إلى حديث المفلس وما في معناه من أحاديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي

يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ"[44]

4. خاتمة:

لقد حاول هذا المقال أن يوضح بجلاء ما تتمتع به لغة الوهراني في المنام الكبير من تنوع في التراكيب، وتفاوت بنياتها التركيبية في البساطة والتعقيد، وتضمنها لأنماط مختلفة من العلاقات المترابطة الداخلية التي هي غاية في التجريد، وتمكن من رصد النتائج الآتية:

- كثافة الوحدات الإسنادية في تراكيب المنام، وتنوع أدواتها.
- تنوع التراكيب الاسنادية بين الاسمية والفعلية.
- تفاوت مستويات التعقيد فيها، وتداخلها بسلاسة وسلامة.
- تنوع المتممات للتعبير عن دلالات معينة.
- غلبة الترابط بين الوحدات الإسنادية بالعطف على الترابط بالانصهار .
- تكافؤ الهيكلين في عدد الأفعال في تراكيب (إن).
- غلبة الفعل الماضي في الهيكلين الأول والثاني، وغلبة الفعل المضارع في الهيكل الثاني في تراكيب (إن) .
- الحركية التي اصطبغت بها التراكيب المبدوءة بإن .
- التوازن الزماني بين هياكل تراكيب (إن).
- خلو تراكيب (أما) من الهيكل الأول (جملة الشرط).
- كثرة العمليات المتعدة في المسند (الخبر) في تراكيب "أما".
- تقارب هياكل تراكيب (أما) و(لولا) في درجة تعقيدها، وفي عدد عناصرها.

الهوامش:

[1] لقد ابتدع الوهراني فن المنامات الأدبية، وقد شهر منامه الكبير الذي حاكى فيه أبا العلاء المعري في رسالة الغفران، قال ابن خلكان (681 ه)، "ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته...". لقد تخيل الوهراني أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت، ومناديا ينادي، هلموا إلى العرض الأكبر، فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر، فوجد بها كثيرين ممن عرفهم وعاصرهم، فسخر منهم جميعا وذكر ما حوسبوا عليه. ينظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، د ط ، لبنان ، 1972: 485/4 .

[2] هو أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني، أصله من وهران، زار صقلية ، ومصر، وبغداد، ودمشق واستقر بها إلى أن توفاه الله سنة (575 ه) ، من آثاره التي وصلتنا "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله"، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[3] ينظر شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ، ص697 و إن الشرطية في الأساليب العربية لعبد العزيز رضوان، ص16 والكتاب تحقيق عبد السلام هارون : 3/5.

[4] المنامات ، ص18.

[5] المصدر السابق ، ص 17 – 18 .

[6] المصدر السابق ، ص22.

[7] المصدر السابق ، ص23.

[8] المصدر السابق ، ص30.

[9] المصدر السابق ، ص34.

[10] المصدر السابق ، ص42.

[11] المصدر السابق ، ص39.

[12] المصدر السابق ، ص49.

[13] المصدر السابق ، ص55.

[14] ينظر الوافي بالوفيات: 378/4.

[15] أي : في كتاب (منامات الوهراني ومقاماته ورسائله).

[16] ينظر وفيات الأعيان ، 4/385)،

[17] المنامات ، ص58.

[18] المصدر السابق ، ص58.

[19] المصدر السابق ، ص59.

[20] المصدر السابق ، ص59.

[21] المصدر السابق ، ص40.

[22] تدل عليها الجملة قبلها. ينظر المثال الأول.

[23] المنامات ، ص59.

[23] نص فرحات على: " أن الفاء تدخل جواب الشرط وجوبا إذا لم يصلح لمباشرة الأداة، وذلك في ستة مواضع، منها إذا كان الجزاء فعل طلب أو فعلا مضارعا مشتقا أو منفيا بلا أو جملة اسمية. ." بحث المطالب في علم العربية ، ص304.

[24] المنامات ، ص59.

[25] المصدر السابق ، ص31.

[26] المصدر السابق ، ص40.

[27] المصدر السابق ، ص46.

[28] المصدر السابق، ص32.

[29] المصدر السابق، ص55.

[30] ينظر المغني لابن هشام ، ص359 و معجم اللغة العربية للدقر ، ص393.

[31] ينظر شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ، ص717 .

[32] المنامات ، ص36.

[33] المصدر السابق ، ص36.

[34] المصدر السابق ، ص41.

[35] المصدر السابق ، ص57.

[36] المصدر السابق ، ص57.

[37] ينظر معجم القواعد في النحو والتصريف العربية للدقر، ص87.

[38] ينظر الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون 235/4.

[39] "أمّا"المشددة حرف يفيد معنى الشرط، وليست موضوعة له بل هي نائبة عن حرف الشرط وفعله، وتفيد التوكيد دائما والتفصيل كثيرا." مبادئ الإعراب لشرف الدين الراجحي ، ص18.

[40] المنامات ، ص36.

[41] المرجع السابق، ص57.

[42] ينظر شرح التلخيص في علوم البلاغة للقزويني ، ص88.

[43] المرجع السابق، ص88 . .89

44 مسلم بن الحجاج، 2006، صحيح مسلم، تحقيق نظر بن محمد، دار طيبة، السعودية ، رقم (2581).